أوصاف الماء في القرآن الكريم

دراسة تحليلية أدبية

الباحثة/ فاطمة سالم عبد الجبار

جامعة أم القرى

إن الحياة وليدة الماء، فهو سرها وقوامها وعمادها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في الآيات التي تحدثت عن مرحلة الخلق الأولى للكون، قال تعالى:[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ] سورة الأنبياء آية ٣٠.

وللماء مصدران رئيسان: أولهما خارجي وهو الأصل والآخر جوفي من باطن الأرض، وقد أشار القرآن الكريم إلى كل من النوعين، أشار إلى المصدر الأول من مصادر المياه – وهو ماء السماء الذي يهطل بفعل تبخر مياه المحيطات والبحار والأنهار فتحمله الرياح وتسوقه إلى مناطق تثار فيه السحب فتتكاثف ويسقط المطر – في العديد من الآيات، قال تعالى: [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] سورة الأعراف آية ٥٧، وقال جل شأنه:[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ] سورة النور آية ٤٣.

ومما جاء بشأن الماء الداخلي قوله تعالى: { أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا، أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا، وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا، مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} سورة النازعات من آية ٢٧ –٣٣.

فالماء يخرج من باطن الأرض في هيئة عيون وينابيع، قال تعالى: {وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ، وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ } سورة يس آية ٣٣–٣٤، وقال جل شأنه:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } سورة الزمر آية ٢١، وهو مصدر رئيس للأنهار قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} سورة الرعد آية ٣، وقد وصف الله تعالى هذا الماء بالعديد من الأوصاف تبعاً لخصائصه وأنواعه وهي أوصاف كلها حكمة وإعجاز.

أولاً: أوصاف الماء العذب

١ – العذب[١] الفرات[٢]:

صفتان مشبهتان، الأولى على زنة (فَعْل) من قولهم عَذُب الماء بالضم فهو عذب، والثانيه على زنة (فُعَال) من قولهم فرت الماء إذا كان شديد العذوبة.

وقد ورد وصف الماء بـ { عَذْبٌ فُرَاتٌ } في القرآن الكريم في موضعين: أحدهما في الآية الثالثة والخمسين من سورة الفرقان والآخر في الآية الثانية عشرة من سورة فاطر.

أما وصف الماء بالفرات فقط فقد ورد في الآية السابعة والعشرين من سورة المرسلات.

ولنتأمل الآيات النيرات التي ورد فيها وصف الماء بـ { عَذْبٌ فُرَاتٌ }.

---

(١) عذب: العين والذال والباء أصل صحيح لكن كلماته لا تكاد تنقاس، ولا يمكن جمعها إلى شيء واحد. فمن الباب عَذُبَ الماء يَعْذُبُ عُذُوبة فهو عَذْبٌ:طيّب، انظر ابن فارس/معجم مقاييس اللغة (عذب)ج٤ ص٢٥٩.

والعَذْب من الشراب والطعام: كل مستساغ، والعَذْب: الماءُ الطيّب، انظر ابن منظور / لسان العرب(عذب) ج١ ص٥٨٣.

وماءٌ عَذْبٌ: طيّبٌ بَارِدٌ. انظر الراغب الأصفاني / مفردات ألفاظ القرآن(عذب) ص٣٤٥.

(٢) فرت: الفاء والراء والتاء كلمة واحدة وهي الماء الفرات، وهو العَذْب. يقال: ماءٌ فرات، ومياه فُرات، انظر ابن فارس / معجم مقاييس اللغة (فرت) ج٤ ص٤٩٨. والفُرَاتُ أشدُّ الماء عُذوبةً، انظر ابن منظور / لسان العرب (فرت)ج٢ ص٦٥. والفُرَاتُ الماء العَذْب يقال للواحد والجمع، انظر الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن (فرت) ص٣٤١.

الآية الأولى: يقول تبارك وتعالى:{ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ[1] الْبَحْرَيْنِ[2] عَذْبٌ فُرَاتٌ[3] وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً[4] وَحِجْراً مَحْجُوراً[5] }

تلفت هذه الآية انتباهنا إلى نعمة جليلة أسبغها الله علينا وهي نعمة الماء عذباً وملحاً، هذه النعمة الدالة على قدرته جل وعلا الكبرى وهيمنته العظمى، وقد صدرت الآية بقوله جل جلاله {وَهُوَ الَّذِي} فهو وحده المنعم القادر المهيمن المستحق للعبادة، وتأتي عبارة { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ } بما فيها من حركة إشارة إلى تلك النعمة الكبرى.

بحران عظيمان أرسلهما الله وأطلقهما وجعلهما متجاورين رحمة منه لعباده، الرائي لهما من بعيد يحسبهما ماءً واحداً ولكنهما في الحقيقة

---

(١) مرج: خلاهما وأرسلهما متجاورين متلاصقين، وقيل خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر.انظر الطبري/تفسير الطبري ج١٩ ص٢٣ والبغوي/ تفسير البغوي ج٣ ص ٣٧٣ والزمخشري /الكشاف ج٣ ص٢٩٢ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص٢٢٤ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٦ ص٤٦٤ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٢٥ بتصرف.

(٢) البحران: الماء الكثير العذب والماء الكثير الملح من غير تخصيص بحرين معينين، وقيل بحران معينان: بحر فارس وبحر الروم، وقيل بحر السماء والأرض. انظر أبا حيان/البحر المحيط ج٦ ص٤٦٤ والألوسي/ روح المعاني ج١٩ ص٣٣.

(٣) عذب فرات: الفرات الصافي اللذيذ المطعم وقيل الزلال وقيل عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته أو من فرط عذوبته، وقيل عذب فرات شديد العذوبة وقيل العذب الحلو والفرات شديد الحلاوة. انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٣ ص٣٧٣ وابن عطية/المحرر الوجيز ج٤ ص٢١٤ والبيضاوي/تفسير البيضاوي ج٤ ص٢٢٤ والنسفي/تفسير النسفي ج٣ ص١٧٣ وابن كثير/تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢٢ والمحلي والسيوطي/ تفسير الجلالين ج١ ص٤٧٧ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٢٥ والألوسي/ روح المعاني ج١٩ ص٣٣ وابن عاشور/التحرير والتنوير مجلد٨ ج ١٩ص٥٤.

(٤) برزخاً: البرزخ الحاجز والحائل الذي جعله الله بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج، وقيل حاجز غير مرئي من قدرته، وقيل البرزخ ما بين البحرين من الأرض اليبس، انظر النسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص١٧٣ والشوكاني/ فتح القدير ج٤ ص٨١ والألوسي/ روح المعاني ج١٩ ص٣٤ بتصرف.

(٥) حجراً محجوراً: ستراً ممنوعاً عن الأعين وقيل تنافراً مفرطاً كأن كل منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة، انظر الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص٢٩٢ والنسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص١٧٣ وأبا السعود / تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٢٥، ويرى صاحب التحرير والتنوير أن حجراً مصدر منصوب على المفعولية به...وليس هنا مستعملاً في التعوذ كالذي تقدم آنفاً في قوله تعالى {ويقولون حجراً محجوراً} انظر ابن عاشور /التحرير والتنوير المجلد ٨ ج١٩ ص ٥٤.

مختلفان أحدهما مياه الأنهار والبحيرات{ هَـذَا عَـذْبٌ فُـرَاتٌ} والآخـر ميـاه البحار والمحيطات {وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} لكل منهمـا صـفته وفائدتـه، وقـدم المـاء العذب الفرات لأنه عماد حياة الإنسان بعد الهـواء، وأتـى بعـده الملـح الأجـاج الذي يضرب فيه بالتجـارة والـصيد واسـتخراج أنـواع الحلـي، ويـدل اسـم الإشارة (هذا) على القرب وفيه لفت الانتباه بدرجة أكبـر إلـى البحـرين حينمـا يكونان غير بعيدين من بعضهما ولكن عنـدما يلتقيـان يلتقيـان بإحكـام وقـدرة ونظام، قدرة الله تعالى لئلا يفـسد أحـدهما الآخـر، فيحـتفظ العـذب بعذوبتـه والملح بملوحته { وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخـاً وَحِجْـراً مَّحْجُـوراً } بحيـث لا يبغـي أحدهما على الآخر، قال عز وجل: { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يِلْتَقِيَـانِ، بَيْنَهُمَـا بَـرْزَخٌ لَّـا يَبْغِيَانِ } سورة الرحمن آية ١٩-٢٠.

في اليابسة انحدار مقدر مـنظم حينـث يجـري المـاء العـذب الفـرات بأمر الله فيصب جزء منه في البحر ويبقى جزء منه علـى ظهـر اليابـسة، فلـو كانت الأرض مستوية لبقي الماء وأسن، ولـو كانـت أشـد انحـداراً ممـا هـي عليه لما بقي ماء عذب على وجـه الأرض ولهلـك كـل كـائن حـي فـسبحان المقدر المنظم.

وهكذا ماء البحر تتجلى تحركاته في هيئة مـد وجـزر مقـدرين بإحكـام، فلا يطغى على الماء الفرات فيفسده. وقد فتقـت هـذه الآيـة أذهـان المفـسرين، وحركت إيحاءاتهم فرأى صاحب التحريـر والتنـوير أنهـا جمعـت الاسـتدلال والتمثيل والتثبيت والوعد، ففيها ((الاسـتدلال علـى شـيء عظـيم مـن آثـار القدرة الإلهية وهي التقاء الأنهار والأبحر وفـي ضـمنها تمثيـل لحـال دعـوة الإسلام في مكـة يومئـذ واخـتلاط المـؤمنين مـع المـشركين بحـال تجـاور البحرين..وتمثيل الإيمان بالعـذب الفـرات والـشرك بـالملح الأجـاج، وأن الله تعالى كما جعل بين البحرين برزخـاً يحفـظ العـذب مـن أن يكـدره الأجـاج وكذلك حجز بين المسلمين والمشركين.. وفـي هـذا تثبيـت للمـسلمين بـأن الله يحجز عنهم ضـر المـشركين لقولـه:{ لَـن يَـضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى } وفـي ذلـك

تعريض كنائي بأن الله ناصر لهذا الدين من أن يكدره النشرك))[1] وهذا وعد منه تعالى، ويرى عبد الكريم الخطيب أن من إعجاز القرآن الكريم ما تكشف عنه هذه الآية، من روعة التصوير ودقة التمثيل،فيما بين مجتمع الماء والماء، والناس والناس: فهناك تشابه في الصورة بين الماء العذب والماء الملح، وبين الأخيار والأشرار من الناس وأن التطابق يكاد يكون تاماً في الظاهر بين المتناقضين.. وأن الناس وإن ظهروا في صورة واحدة هم في حقيقتهم فريقان مؤمن وكافر، ومستقيم ومعوج... وإن توالد بعضهم من بعض كما يتوالد الماء العذب من الماء الملح... والمؤمنون الأخيار في المجتمع الإنساني هم مادة الحياة والروح وهكذا الماء العذب هو حياة الأحياء من نبات وجماد وإنسان.. والمؤمنون الأخيار في المجتمع الإنساني هم قلة في كل زمان ومكان بالنسبة للضالين والأشرار وتكاد نسبتهم تعدل نسبة الماء العذب إلى الماء المِلْح..قال تعالى: {مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }.. وليس في الناس من هو شر خالص أو خير محض، ففي الأشرار ما في الماء الملح من عناصر الماء العذب بل إن من هذا الماء الملح ما يرق ويصفو ويتحول إلى بخار وسحاب ثم ينزل على الأرض ماءً عذباً فراتاً، وفي الأخيار ما في الماء العذب الفرات من قابلية للاختلاط بما يفسده ويغير طبيعته، وهو يسلك مسالكه في الأرض، فتارة يسلك مجرى طيباً فيكدر ثم يصفو، وتارة يقع في مستنقع فيركد ثم يتعفن وهكذا. [2]

---

(١) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير مجلد٨ ج١٩ ص٥٤.

(٢) انظر عبدالكريم الخطيب/ التفسير القرآني للقرآن، الكتاب ١٠ج١٩ ص٤٣-٤٥ بتصرف.

الآية الثانية:

قال تعالى:{ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ[1] هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ[2] وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً[3] وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً[4] تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ[5] لِتَبْتَغُوا[6] مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } سورة فاطر آية١٢

بدئت الآية الكريمة بنفي استواء البحرين العذب الفرات والملح الأجاج فهما على رغم تشابه صورتهما الظاهرية لا يستويان في المذاق والخصائص، أحدهما عذب فرات حلو المذاق يكسر العطش من فرط عذوبته، والآخر ملح أجاج شديد الملوحة والمرارة. ويلمس الرائي في الآية للوهلة الأولى إيجاز الحذف وتقديره كما

---

(١) وما يعتدل البحران فيستويان. والبحران هما العذب والملح انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٢ ص١٢٤.

(٢) السائغ المريء الذي يسهل انحداره في الحلق لعذوبته، والسائغ سائغ شرابه أي جائز في الحلق هنيء انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٥٦٨ والزمخشري/ الكشاف ج٣ ص٦١٤ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص٤١٤ والنسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص ٣٣٨ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٧ ص١٤٧ والشوكاني/ فتح القدير ج٤ ص ٣٤٢ بتصرف.

(٣) طرياً:أي غضاً جديداً وهو السمك على ماروي عن السدي وقيل الطير والسمك واختار كثير الأول. والتعبير عن السمك باللحم مع كونه حيواناً قيل للتلويح بانحصار الانتفاع به في الأكل ووصفه بالطراوة للإشعار بلطافته والتنبيه على المسارعة إلى أكله لئلا يتسارع إليه الفساد انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٢ ص١٧٩.

(٤) الحلية: اللؤلؤ والمرجان انظر الزمخشري/الكشاف ج٣ ص٦١٤ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٤ ص٤٣٣ والنسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص٣٣٩ ومحمد الأمين محمد الشنقيطي/ أضواء البيان ج٦ ص٢٨٢. واللحم الطري الحوت وهو موجود في البحرين وكذلك الفلك تجري في البحرين، وبقيت الحلية وهي اللؤلؤ والمرجان فقال الزجاج وغيره هذه عبارة تقتضي أن الحلية تخرج منهما، وهي إنما تخرج من الملح وذلك تجوز كما قال في آية أخرى { يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ } سورة الرحمن آية٢٢ وكما قال { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ } سورة الأنعام آية١٣٠ والرسل إنما هي من الإنس. انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٤ ص٤٣٣ وجاء في تفسير القرطبي، مذهب أبي إسحاق أن الحلية إنما تستخرج من الملح فقيل منهما لأنهما مختلطان، وقال غيره إنما تستخرج الأصداف التي فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي فيها العذب والملح.. وقيل إنما تستخرج الحلية من الملح خاصة وهذا أحسنها.انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٤ ص٣٣٥بتصرف.

(٥) الفلك فيه مواخر: تمخر الماء بصدورها أي تشقه وقيل مواخر مقبلة ومدبرة بريح واحدة وقال ابن عباس مواخر جواري. انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٢ ص١٢بتصرف.

(٦) لتبتغوا من فضله: قال مجاهد: التجارة في الفلك إلى البلدان البعيدة في مدة قريبة، وقيل ما يستخرج من حليته ويصاد من حيتانه. انظر تفسير القرطبي ج١٤ ص٣٣٥بتصرف.

يقول ابن عاشور:((وخلق البحرين العذب والأجاج على صورة واحدة وخالف بين أغراضها)). [1]

ولعل سبب بدئها بنفي الاستواء يكمن في أنها ذكرت للاستدلال على بديع صنع الله تعالى ودقة ذلك الصنع. إن البحر الأول عذب فرات { سَائِغٌ شَرَابُهُ}((مشتق من الإساغة وهي استطاعة ابتلاع المشروب دون غصة ولا كره))[2] والآخر ملح أجاج، ولا يقتصر الاختلاف بين البحرين على المذاق بل يتجاوزه إلى الفائدة المجتناة، والمستخرجات المستفادة { وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً} كلمة كل تدل على أن اللحم الطري – الحيوانات البحرية كالسمك وغيره – يستخرج من كلا البحرين، ولننظر إلى دقة وصف الآية الكريمة للحم الحيوانات البحرية بـ (طري) ففي هذا الوصف إشارة إلى المسارعة (إلى أكله لئلا يتسارع إليه الفساد)[3] ولا تقتصر الفائدة على اللحم الطري بل { وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} عطفت هذه الجملة على { تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً } والحلية الملبوسة هي (اللؤلؤ والمرجان وغيرها) وكما أن في اختلاف البحرين في المذاق دليلاً على دقة صنع الله تعالى، كذلك فإن في اختلاف مستخرجاتها دليلاً آخر على دقة صنع المولى جل جلاله.

ومن بديع صنع الله تعالى أيضاً الفلك التي تطفو على سطح البحر وتشق الماء دون أن تغرق، ولهذه الدلالة قدّمت الآية الكريمة الظرف (فيه) على مواخر { وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ }أي في كل من البحرين، وأفرد ضمير الخطاب في (ترى) مع أن الضمائر السابقة واللاحقة أتت جمعاً (تأكلون – تستخرجون – لتبتغوا – تشكرون) ((لأن الخطاب لكل أحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط)) [4] واللام في قوله تعالى:{ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ } متعلقة بمواخر، وقد جوز تعلقها بما تدل عليه الأفعال المذكورة (تأكلون – تستخرجون – تلبسونها – ترى) أي فعل ذلك لتبتغوا من فضله بالسفر والتجارة، أما حرف الترجي في قوله

---

(١) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد التاسع الجزء٢٢ ص ٢٧٩.

(٢) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد التاسع ج٢٢ ص٢٨٠.

(٣) انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٢ ص١٧٩.

(٤) انظر أبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٧ ص١٤٧.

تعالى { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } فيرى صاحب الكشاف أنه ((مستعار لمعنى الإرادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا)) [1].

وقد أشار أكثر المفسرين إلى أن المراد من الآية ضرب المثل في حق المؤمن والكافر، والكفر والإيمان فكما لا يستوي البحران كذلك لا يستوي المؤمن والكافر ولا الكفر والإيمان[2].

يقول صاحب الكشاف((ضرب البحرين العذب والمالح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه { وَمِن كُلٍّ} أي ومن كل واحد منهما.. ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين، ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك والكافر خلو من ذلك)) [3].

أما وصف فرات فقد ورد في الآية السابعة والعشرين من سورة المرسلات قال تعالى:{ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء فُرَاتاً } إن ضمير الغيبة (فيها) يعود على الأرض التي ورد ذكرها في الآية السابقة { أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً، أَحْيَاء وَأَمْوَاتاً } هذه الآية التي بدئت بالتقرير للكافرين بما أنعم الله به عليهم من خلق الأرض التي حضنت بنيها أحياء على سطحها وأمواتاً في بطنها، ثم ذكر في هذه الآية ما أودعه وما خلقه فيها من مخلوقات ينتفعون بها، ففي الأرض الجبال الرواسي الثوابت التي ثبت الله تعالى بها الأرض كي لا تميد وتضطرب تلك الرواسي الشامخات المرتفعات الشاهقات السامقات التي تتجمع على قممها السحب والتي تنفع الناس بما فيها من كلأ وأشجار، والتي تروع الناظر بما تتسم به من علو. هذه الجبال التي تدل على عظم من صنعها، ثم عطفت جملة { وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاء

---

(١) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص٦١٤.

(٢) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص٦١٤ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص٤١٤ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٧ ص١٤٧ والشوكاني/ فتح القدير ج ٤ ص٣٤٣ والألوسي/ روح المعاني ج٢٢ ص١٧٩.

(٣) انظر الزمخشري / الكشاف ج٣ ص٦١٤ بتصرف.

فُرَاتاً } على الجبال الرواسي الشوامخ ((لأنها تنحدر منها المياه تجري في أسافلها، وهي الأودية، وتقر في قرارات وحياض وبحيرات)) [1].

والماء الفرات هو العذب الزلال الصافي الذي أجراه الله في هيئة أمطار وأنهار وينابيع وبحيرات وآبار يشرب منه الناس ويسقون به مزارعهم ومواشيهم، وخص النهر المشهور بها تشريفاً له.

وقد نكرت (رواسي – شامخات – ماء – فرات) والسبب في هذا التنكير يحتمل التبعيض ويحتمل التفخيم أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف وما لم ير[2] أما تنوين (شامخات – وماء) فقد أشار ابن عاشور إلى أنه للتعظيم لدلالة ذلك على عظيم القدرة[3].

ويتجلى في هذه الآية الكريمة امتنان الله تعالى على هؤلاء الكافرين بخلق الجبال والماء الفرات. وإشارة إلى عظيم قدرته، وهذه الأمور ((أعجب من البعث)) [4] أي ((أفبعد هذا تكذبون بالبعث وتنكرون يوم الجزاء؟ فالويل لكم من هذا الضلال الذي أنتم غارقون فيه أيها المكذبون))[5].

إن هاتين الآيتين النيرتين من سورة المرسلات التي تتوالى مقاطعها وفواصلها قصيرة سريعة عنيفة، وكل مقطع من مقاطع السورة يمثل جولة أو رحلة في عالم تتحول السورة معه إلى مساحات عريضة من التأملات والمشاعر والخواطر والتأثرات والإستجابات، وتمثل الآيتان المذكورتان الجولة الرابعة وهي جولة مع الأرض التي تضم أبناءها إليها أحياء وأمواتا، وقد جهزت لهم الاستقرار والماء المحيي[6].

---

(١) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد ١٢ ج٢٩ ص٤٣٤.

(٢) انظر الزمخشري/الكشاف ج٤ ص٦٨١ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٣٥ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٩ ص٨٠.

(٣) انظر ابن عاشور/التحرير والتنوير المجلد ١٢ ج٢٢ ص٤٣٤،٤٣٢.

(٤) انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٦٢ والشوكاني/فتح القدير ج٥ ص٣٥٨.

(٥) انظر عبدالكريم الخطيب/ التفسير القرآني للقرآن الكتاب ١٥ ج٢٩ ص ١٤٠١.

(٦) انظر سيد قطب / في ظلال القرآن المجلد٦ ج٢٩ ص ٣٧٨٩-٣٧٩٠ بتصرف.

المبارك: [1]

اسم مفعول من الفعل (بارك) وقد ورد وصف الماء بمبارك في القرآن الكريم مرة واحدة في الآية التاسعة من سورة ق قال تعالى:{ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} هذه الآية الكريمة من الآيات التي ذكرها الله عز وجل رداً على تعجب الكفار من البعث الوارد في بداية سورة (ق) وكان هذا الرد قد أتى في صور تنبيهية – فالله عز وجل ينبه عباده ((على قدرته العظيمة التي أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه)) [2] { أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ، وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ، رِزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ }[3].

بدئت الآية الكريمة – موطن استشهادنا – بواو العطف فقد عطفت جملة{ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ}على { وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } فقد شرع الله عز وجل في بيان كيفية ذلك الإنبات[4] وهو عن طريق ماء المطر الذي ينزل من السماء ويقصد بها السحب وبالذلك الوصف الرائع لماء المطر

---

(١) برك: الباء والراء والكاف أصل واحدٌ، وهو ثَبَاتُ الشيء، ثم يتفرع فروعاً يقاربُ بعضُها بعضاً، انظر ابن فارس / معجم مقاييس اللغة (برك) ج١ ص٢٢٧، والبَرَكَةُ: النَّماء والزيادة. والتَّبْريك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة. قال الزجاج في قوله تعالى:{ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } المبارك ما يأتي من قبله الخير الكثير وهو من نعت كتاب انظر ابن منظور/ لسان العرب (برك) ج١٠ ص٣٩٥-٣٩٦، والبَرَكَةُ ثُبُوت الخير الإلهي في الشيء قال تعالى:{ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ} انظر الراغب الأصفهاني/ مفردات ألفاظ القرآن (برك) ص٥٤ وبرك السماء: دام مطرها، انظر إبراهيم مصطفى وآخرون/المعجم الوسيط (برك) ج١ ص٥١.

(٢) انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٢٣.

(٣) سورة (ق) الآيات ٦ -١١.

(٤) انظر أبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٨ ص١٢٧ بتصرف.

إنه{ماء مبارك}كثير البركة والمنافع والخير[1] لينتفع به الناس في غالب أمورهم وذكر بعض المفسرين أن وصف مبارك لماء المطر يعني جميع المطر كله يتصف بالبركة وإن ضر بعضه أحياناً ففيه مع ذلك الضر الخاص البركة العامة وقال أبو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاء المطر فسالت الميازيب قال:((لا محل عليكم العام))، وذكر البعض الآخر أن (ماء مباركاً) يراد به ماء مخصوصاً خالصاً للبركة ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بذلك[2]. إن هذا الوصف الدقيق لماء المطر ظهر أثره على الأرض التي حل بها{ فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ }[3]، فالجنات الكثيرة أي الحدائق والبساتين والأشجار ذات الثمار من آثاره المباركة والحبوب التي تحصد من بر وشعير وحنطة وغيره مما يقتات ويدخر ويحصد أثر آخر من آثاره المباركة، وكما أن هذا الماء المبارك كان سبباً لإحياء موات الأرض فهو كذلك آية تحيي موات القلوب وهو دليل على قدرة الله تعالى على البعث، بل هو شبيه به قال تعالى: { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ}، ويرى سيد قطب أن في هذه الآيات امتناناً مؤثراً يقول:((ويلمس القلوب وهو يمتن عليها بالماء والجنات

---

(١) انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٢٢١ والزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٣٨٥ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٧ ص٦ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٥ ص٢٢٥ والنسفي/ تفسير النسفي ج٤ ص١٧٠ والمحلي والسيوطي/ تفسير الجلالين ج١ ص٦٨٩ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٨ ص١٢٧ والشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٧٢ والألوسي/ روح المعاني ج٢٦ ص١٧٦.

(٢) انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص١٥٨ بتصرف.

(٣) حب الحصيد: التقدير على قول البصريين حب النبت الحصيد وهو كل ما يحصد فهو من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وقال الكوفيون هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه كما يقال مسجد الجامع وحق اليقين وحبل الوريد، وقال الفراء والأصل الحب الحصيد فحذفت الألف واللام وأضيف المنعوت إلى النعت، انظر القرطبي/تفسير القرطبي ج١٧ ص٦ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص١٢١ والشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٧٢، وأيد الألوسي قول البصريين ورد الآراء الأخرى، انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٦ ص١٧٦.

والحب والنخل والطلع: { رِزْقاً لِّلْعِبَادِ }.. رزقاً يسوق الله سببه، ويتولى نبته، ويطلع ثمره للعباد، وهو المولى، وهم لايقدرون ولا يشكرون!)) [1].

ثجاج [2]

صيغة مبالغة على زنة (فَعَّال) وقد ورد هذا الوصف للماء في القرآن الكريم في موضع واحد وهو الآية الرابعة عشرة من سورة النبأ{وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً، لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً}

نستشعر من بداية الآية عظمة وقدرة الخالق جل وعلا، فإسناد الفعل (أنزل) إلى (نا) العظمة له دوره في بيان أهمية هذا الإنزال لأن الذي أنزله عظيم، هو رب الكون وموجده، وبالتالي يتشوق السامع والقاريء إلى معرفة الشيء الذي أنزل، ثم تأتي شبه الجملة { مِنَ الْمُعْصِرَاتِ }سواء أكانت المعصرات السحب[3] التي تحمل ماء المطر أو الرياح[4] التي تسببت في ذلك، فإن لفظ(المعصرات) [5] يثير الخيال والتأمل في السحب التي أثقلت بذلك الحمل وناءت بحمله وآن لها أن تستعد وتتهيأ لتعصره، وهنا وبعد أن يصل القاريء والسامع إلى أنه ماء السماء المتتابع والمنصب بكثرة، المدرار الكثير السريع الاندفاع[6] الذي أنزل بهذه الصورة والكيفية لحكمة بالغة وهي إنبات النبات { لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً } وفي ذلك امتنان من الله عز وجل على عباده، ((وفي وصف السحب بأنها معصرات

---

(١) انظر سيد قطب / في ظلال القرآن المجلد٦ ج٢٦ ص٣٣٦٠.

(٢) ثج: الثاء والجيم أصلٌ واحد، وهو صبُّ الشيء يقال ثَجَّ الماءَ إذا صبّه، وماءٌ ثَجّاجٌ أي صبّابٌ، انظر ابن فارس / معجم مقاييس اللغة (ثج) ج١ ص٣٦٧.. والثجُّ الصبُّ الكثير، وخص بعضهم به صب الماء الكثير. وماء ثَجُوجٌ وثَجّاجٌ: مصبوب، انظر ابن منظور / لسان العرب (ثجج) ج٢ ص٢٢١. وثج الماء ثجوجاً: سال وانصب فهو ثاج، والثجاج: الشديد الانصباب انظر إبراهيم مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط (ثج) ج١ ص٩٤.

(٣) قول ابن عباس وأبي العالية والربيع والضحاك وهو قول الجمهور.

(٤) قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والكلبي وزيد بن أسلم انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٣٠ ص٥ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٤٢٤ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٧٢ وابن كثير /تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٦٣ والشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٣٦٤ بتصرف.

(٥) واحدتها معصرة اسم فاعل من أعصرت السحابة إذا آن لها أن تعصر... فهمزة أعصر تفيد معنى الحينونة وهو استعمال موجود وتسمى همزة التهيئة، انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد١٢ ج٣٠ ص٢٥.

(٦) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٣٠ ص٦ والبغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٣٧ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص ٤٢٤ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٥ ص٤٣٩.

إشارة إلى أن الماء الذي تحمله متلبس بها، مندس في كيانها، بل هي في حقيقتها ماء،ووعاء معاً..)) [1].

وقد أشار ابن عاشور إلى أن في الآية استدلالاً بإنزال الماء من السحاب واستدلالاً بالإنبات، فيكون ذلك دليلاً للناس على تصور حالة البعث بعد الموت، وهذا الذي أشير إليه هنا قد صرح به في مواضع من القرآن الكريم منها الآية التي ذكرناها في وصف مبارك { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ}، فكلتا الآيتين بدئت بـ (أنزلنا) ولكن تعليل سبب الإنزال وبيان أثره ورد في سورة النبأ بقوله (لنخرج) وفي سورة ق (فأنبتنا) مما يدل على أن المقصد الأول من الإنزال في سورة النبأ هو الإيماء إلى تصوير كيفية بعث الناس من الأرض، ويأتي الامتنان في ثنايا ذلك، أما في سورة ق فالمقصد الأول هو الامتنان ولذلك جيء بالفعل (أنبتنا) ثم أتى بعد ذلك الاستدلال على البعث[2] بقوله { وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } وقد ((ورد لفظ ثج لازماً ومتعدياً، واختير جعل ما في النظم الكريم من اللازم لأنه الكثير في الاستعمال، وجعله الزجاج من المتعدي، كأن الماء المنزل لكثرته يصب نفسه، ومن المتعدي ما في قوله صلى الله عليه وسلم (أفضل الحج العج والثج))) [3].

الغدق [4]:

صفة مشبهة على زنة (فَعَل) وقد ورد وصف (غدق) في القرآن الكريم في موضع واحد وهو الآية السادسة عشرة من سورة الجن

---

(١) انظر عبدالكريم الخطيب/ التفسير القرآني للقرآن الكتاب ١٦ج٣٠ ص١٤١٧.

(٢) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير ج٣٠ ص٢٥-٢٧ بتصرف.

(٣) انظر الألوسي/ روح المعاني ج٣٠ ص١١، وعَجَّ: يَعِجُّ عَجّاً وعجيجاً: رفع صوته وصاح، وقيده في التهذيب فقال: بالدعاء والاستغاثة، والثَّجُّ:صب الدم، وسيلان دماء الهدي، يعني الذبح انظر ابن منظور/ لسان العرب (عجج) ج٢ ص٣١٨.

(٤) الغدق: الغين والدال والقاف أصلٌ صحيح يدل على غُزْر وكثرةٍ ونَعْمَة. من ذلك الغَدَق، وهو الغَزير الكثير. انظر ابن فارس المالكي/ معجم مقاييس اللغة(غدق) ج٤ ص٤١٥، والغَدَق:المطر الكثير العامّ، والغَدَق أيضاً:الماء الكثير ولن لم يكُ مطراً. انظر ابن منظور/ لسان العرب (غدق) ج١٠ ص٢٨٢ {لَّأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} أي غزيراً ومنه غَدِقَتْ عَيْنُه تَغْدَق والغَيْدَق بالل فيما يَغْزُر من ماء وعَدَقٍ ونُطْفٍ، انظر الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن (غدق) ص٣٧٥، والغدق الماء الغدير الكثير. انظر إبراهيم مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط (غدق) ج٢ ص٦٥٢.

قال تعالى:{وَأَلَّوِ[1] اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً}بدئت الآية الكريمة بالواو العاطفة تلتها أن المخففة من الثقيلة وهو من جملة الوحي التي صدرت بها سورة الجن: {قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً } واسم أن محذوف وهو ضمير الشأن وخبره (لو استقاموا على الطريقة) والتقدير: ((وأوحى إلى أن الشأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً)).

وقد تعددت آراء المفسرين في عودة الضمير واو الجماعة في الفعل (استقاموا) فمنهم من أرجعه إلى الجن[2]، ورأى ابن عاشور بأنه لا يجوز عودته إليهم لأنه لا علاقة لهم بالشرب[3] ومنهم من أرجع الضمير إلى كفار مكة بعدما رفع عنهم المطر سبع سنين[4] ومنهم من ذكر بأن الضمير عائد على القاسطين[5] ومنهم من أرجع الضمير إلى من أسلم[6]ومنهم من ذكر أن المراد من الضمير الخلق كلهم[7] وهذا عندي هو الأرجح لأن الخطاب في القرآن الكريم موجه للبشر إلى أن تقوم الساعة، كذلك فقد أشاروا إلى أن الاستقامة على الطريقة يراد به أحد أمرين:

١- الاستقامة على الطريقة المثلى طريقة الإسلام من عبادة وطاعة وحق وإيمان وهدى.

٢- الاستقامة على طريقة الكفر والضلال[8].

---

(١) قرأ الأعمش وابن وثاب (وأن لو) بضم الواو.. انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٣٨٣ ولكن قراءة العامة (الجمهور) بكسر الواو من (لو) لالتقاء الساكنين. انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٨ والشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٣٠٨ والألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص٩٠.

(٢) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٣٠.

(٣) انظر ابن عاشور/التحرير والتنوير المجلد١٢ ج٢٩ ص٢٣٨.

(٤) انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٠٣.

(٥) انظر النسفي/ تفسير النسفي ج٤ ص٢٨٨.

(٦) انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٣٨٢.

(٧) انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٨.

(٨) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص١١٤-١١٥ والبغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٠٣ والزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٣٠-٦٣١ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٣٨٢ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٨ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٥ ص٣٩٩ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٣٤٤ وابن كثير /تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٣٢ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٩ ص٤٥ والشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٣٠٨ والألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص٩٠.

وكثير من المفسرين رجح الوجه الأول لأن الطريقة معرفة بالألف واللام فالأوجب أن تكون طريقة الهدى ولأن الاستقامة لا تكون إلا مع الهدى[1] ولأن استعارة الاستقامة للكفر قلقة غير مناسبة [2] ويرى الألوسي أن التعريف للعهد والمعهود طريقة الجن المفضلة على غيرها. وقيل لأن جعلها طريقة وما عداها ليس بطريقة يفهم منه كونها مفضلة [3].

أما ابن عاشور فيرى أن الاستقامة على الطريقة تمثيل لهيئة المتصف بالسلوك الصالح والاعتقاد الحق بهيئة السائر سيراً مستقيماً على طريقة، ولذلك فالتعريف في (الطريقة) للجنس لا للعهد[4].

وبالتالي فإن المراد من نفتنهم في الآية التي تليها: }نَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} يختلف باختلاف المراد من الطريقة فقد يكون المراد منه الاختبار والامتحان لمعرفة كيفية شكرهم، وقد يكون المزاد منه الاستدراج (لتكون النعمة سبباً في اتباعهم شهواتهم ووقوعهم في الفتنة واندادهم إثماً[5])، ولكن ما عاقبة الاستقامة على الطريقة وما الجزاء المترتب عليها،إنه يتمثل في قوله تعالى: {لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} قرأ جمهور الناس غدقاً بفتح الدال وقرأ عاصم في رواية الأعشى عنه بكسرها[6]، (وماء غدقاً) واسعاً كثيراً[7] وقيل نافعاً كثيراً وقيل مالاً كثيراً وعيشاً رغداً[8] وقيل لأعطيناهم سعة من الرزق[9] وهذا مثل ضربه

---

(١) انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٩.

(٢) انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٣٤٤ بتصرف.

(٣) انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص٩٠.

(٤) انظر ابن عاشور/ التحرير والتنوير المجلد ١٢ ج٢٩ ص٢٣٨.

(٥) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٣١ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٩ بتصرف.

(٦) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٣٠ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٣٨٣ وأبا حيان /البحر المحيط ج٨ ص٣٤٥ والألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص٩٠.

(٧) انظر القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٩ ص١٨.

(٨) انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٠٣.

(٩) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٣٠ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٣٤٥ والألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص٩٠ بتصرف.

الله تعالى[1] كقوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم }. وقوله تعالى:{ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً }وعد بالجزاء على الاستقامة في الدين جزاء حسناً في الدنيا يكون عنواناً على رضى الله تعالى وبشارة بثواب الآخرة قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } وفيه إنذار بأنه يوشك أن يمسك عنهم المطر فيقعوا في القحط والجوع [2] ويرى سيد قطب أن هذه الآية {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} من مقولة الجن عن الله تعالى ((يقول الله-سبحانه- إنه كان من مقالة الجن عنا: ما فحواه أن الناس لو استقاموا على الطريقة، أو أن القاسطين لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم نحن ماء موفوراً نغدقه عليهم فيفيض عليهم بالرزق والرخاء { لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ } ونبتليهم أيشكرون أم يكفرون وهذا العدول عن حكاية قول الجن إلى ذكر فحوى قولهم في هذه النقطة، يزيد مدلولها توكيداً بنسبة الإخبار فيها والوعد إلى الله سبحانه، ومثل هذه اللفتات كثيرة في الأسلوب القرآني لإحياء المعاني وتقويتها وزيادة الانتباه إليها)) [3].

ويتجلى أهمية هذا الوصف للماء بالغدق في هذه الآية الكريمة فيما تتضمنه من حقيقة أثبتها القرآن الكريم وأشار إليها في العديد من الآيات وهي العلاقة الوثيقة والارتباط القوي بين استقامة الخلق أفراداً وجماعات على الطريقة السوية التي ترضي الله تعالى – وهي التمسك بشرعه كتاباً وسنة – وبين الرخاء والنعيم في الدنيا المتمثل في مظاهر عديدة ومنها الماء الوفير الكثير. وخير مثال على ذلك ما بلغه المسلمون من حضارة وتقدم عندما كانوا متمسكين بالإسلام قلباً وقالباً، ففتحت الفتوحات وازدهرت العلوم والفنون فلما حادوا وابتعدوا عن جادة الطريق القويم حدثت النكسة وحل التأخر واستلبت الخيرات وكثر القحط والمجاعات، والجانب الآخر أن الماء الوفير مظهر أساسي من مظاهر الرخاء والسعة فلا يستغني عنه في

---

(١) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص١١٥.

(٢) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد ١٢ ج٢٩ ص٢٣٨

(٣) انظر سيد قطب / في ظلال القرآن المجلد٦ ج٢٩ ص٣٧٣٤.

أي مظهر من مظاهر التقدم الزراعي والعمراني والصناعي، وهنا تتجلى أهمية هذا الوصف بالغدق.

المعين [1]

اختلف في زيادة ميم معين وأصالته وتبعاً لذلك اختلف معناه اختلافاً يسيراً. فهو عند من قال بأن ميمه زائدة مشتق من عانه يعينه إذا أدركه ببصره (بعينه) ووزنه مفعول كمخيط ومعناه الماء الجاري الذي يرى بالعين، وقد وصف الماء الجاري بذلك لأنه في الأغلب يكون ظاهراً مشاهداً بالعين جامعاً لانشراح الصدر وأسباب التنزه وطيب المكان وتكون الميم زائدة أيضاً كزيادتها في منبع لدى من قال بأنه مأخوذ من عين الماء، قال الزجاج هو الماء الجاري في العيون وبمثل ما قال الزجاج قال الفراء، أما من قال بأن ميمه أصلية فهو عندهم على زنة فعيل بمعنى مفعول مأخوذ من معن بمعنى جرى وسهل، قال الأخفش معن الماء إذا جرى فهو معين وممعون وقيل مأخوذ من معن يمعن فهو معين من الماعون وهو المنفعة لأنه نفاع بظهوره وجريه.[2]

وقد ذكر وصف معين في القرآن الكريم أربع مرات،في الآية الخمسين من سورة المؤمنين،وفي الآية الخامسة والأربعين من سورة الصافات،والآية الثامنة عشر من سورة الواقعة وأخيراً في الآية الثلاثين من سورة الملك،وسنتناول هذه الآيات بالتأمل والنظر في كتب التفسير لبيان أهمية وصف معين في القرآن الكريم.

---

(١) معين:الميم والعين والنون أصلٌ يدلّ على سهولة في جريان أو جري أو غير ذلك، ومَعَنَ الماء: جرَى. وماءٌ معينٌ. انظر ابن فارس / معجم مقاييس اللغة (معن) ج٥ ص٣٣٥، والمَعْن والمَعِين: الماء السائل وقيل الجاري على وجه الأرض، وقيل الماء العذب الغزير وكل ذلك من السُّهولة. انظر ابن منظور / لسان العرب (معن) ج١٣ ص٤١٠. ومن عين الماء اشتق ماء معين أي ظاهر للعيون، انظر الراغب الأصفاني / مفردات ألفاظ القرآن (عين) ص٣٧٣.

(٢) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج١٨ ص٢٨ والزمخشري/ الكشاف ج٣ ص١٩٢ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٢ ص١٢٧ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص١٥٧ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص١٣٧-١٣٨ والشوكاني/ فتح القدير ج٣ ص٤٨٦ والألوسي/ روح المعاني ج١٨ ص٣٩ بتصرف.

١ – الموضع الأول:

قال تعالى في الآية الخمسين من سورة المؤمنين:{ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا[١] إِلَى رَبْوَةٍ[٢] ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } لقد أشارت الآية الكريمة إلى عظيم قدرته الله تعالى وبديع صنعه وجزيل نعمه على عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه، فقد جعل ابن مريم وأمه حجة قاطعة ودلالة على قدرته تعالى على ما يشاء،فقد خلق عيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر وجعله يتكلم في المهد ويبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، ولكن ما السر في إفراد(آية) وعدم تثنيتها ؟

تعددت آراء المفسرين في ذلك فمنهم من أشار إلى أن الآية أمر واحد مشترك ينسب إليهما، وهو ولادته عليه السلام من غير مسيس ومنهم من رأى بأن الكلام على تقدير مضاف (جعلنا حال ابن مريم وأمه آية) ومنهم من ذكر بأن المراد جعلنا قصتهما آية عظمى بمجموعها ومنهم من بنى المراد على الحذف (وجعلنا ابن مريم آية بتكلمه في المهد وإبرائه للأبرص والأكمه وإحيائه للموتى وجعلنا أمه آية حيث حملته من غير مسيس) فحذف آية من الأول لدلالة الثاني عليه[٣].

أما ((التعبير عن عيسى عليه السلام بابن مريم وعن مريم بأمه للإيذان من أول الأمر بحيثية كونهما آية فإن نسبته عليه السلام إليها مع أن النسب إلى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية، وتقديمه عليه السلام لأصالته فيما ذكر من كونه آية، كما قيل إن تقديم أمه في قوله

---

(١) آوى:المأوى: مصدر أوى يأوي أوْيًا ومأوى تقول أوى إلى كذا انضمّ إليه ويأوي أويًا ومأوى، وآواه غيره ويؤويه إيواءً. انظر الراغب الأصفهاني/ مفردات ألفاظ القرآن (أوى) ص٤٤.

(٢) الرَّبْوَ والرُّبْوَةُ والرِّبْوَةُ والرِّبَاوَةُ والرُّبَاوَةُ والرِّبَاوَةُ والرَّابِيَةُ والرَّبَاةُ: كل ما ارتفع من الأرض وربا. انظر ابن منظور/ لسان العرب (ربا) ج١٤ ص٣٠٦.

(٣) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص١٩٢ والنسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص١٢٤ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٦ ص٣٧٧ وابن كثير /تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٤٧ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص١٣٧ والألوسي/روح المعاني ج٨ ص٣٧بتصرف.

تعالى: { وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ } لأصالتها فيما نسب إليها من الإحصان والنفخ))[1].

ثم أشارت الآية الكريمة إلى أمر آخر يدل على عظيم قدرته عز وجل وإنعامه عليهما:{ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ[2] ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ[3]} فمن نعمته عز وجل عليهما أن هيأ لهما المكان الذي يؤويهما ويضمهما فيجدان فيه الاستقرار والثمار والماء الجاري النابع من العيون الظاهر الذي تراه العيون فتطيب لرؤياه وتستمتع بمنظره وتنتفع به.

الموضعان الثاني والثالث:

قال تعالى في الآية الخامسة والأربعين من سورة الصافات {يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ[4] مِن مَّعِينٍ}، وقال جل جلاله في الآيتين السابعة عشرة والثامنة عشرة من سورة الواقعة {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ، بِأَكْوَابٍ[5] وَأَبَارِيقَ[6] وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}، لقد ورد وصف معين في هذين الموضعين من القرآن الكريم لكأس الخمر المقدم

---

(١) انظر الألوسي/ روح المعاني ج١٨ ص ٣٨.

(٢) قرأ جمهور الناس رُبوة بضم الراء وقريء بفتح الراء وبكسرها. انظر الزمخشري/الكشاف ج٣ ص١٩٢ وابن عطية/المحرر الوجيز ج٤ ص١٤٥ والبيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص١٥٧ وأبا حيان /البحر المحيط ج٦ ص٢٧٧ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص١٣٧. واختلف الناس في موضع هذه الربوة فقيل إنها في الرملة من فلسطين، وقيل ربوة من ربا مصر وقيل بيت المقدس، وقيل غوطة دمشق وهذا الأخير أشهر الأقوال لأن صفة الغوطة ذات قرار ومعين، انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٤ ص١٤٥. ويترجح أن الربوة بيت لحم من بيت المقدس لأن ولادة عيسى كانت هنالك، وحينئذ كان الإيواء، وأقرب الأقوال إلى ذلك ما رواه العوفي عن ابن عباس قال: المعين الماء الجاري وهو النهر الذي قال الله تعالى: {قد جعل ربك تحتك سرياً } هو الأظهر لأنه المذكور في الآية الأخرى والقرآن يفسر بعضه بعضاً. انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٤٧، ورجح صاحب روح المعاني رأي من يقول إن الربوة بيت المقدس، انظر الألوسي / روح المعاني ج١٨ ص٣٨.

(٣) ذات قرار: المكان المستوي وقيل الثمار. انظر الطبري/ تفسير الطبري ج١٨ ص٢٧بتصرف، وقالوا إنها مستوية يمكن القرار عليها للحرث والغراسة، انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٦ ص٢٧٧.

(٤) الكأس: الآنية المعدة للشرب بها، شريطة أن يكون فيها خمر أو نبيذ، وذهب بعض الناس إلى أن الكأس آنية مخصوصة في الأواني وهو كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض ولا يراعى في ذلك كونه بخمر أو لا، انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٤ ص٤٧٢ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٧ ص٣٤٤ بتصرف.

(٥) أكواب: جمع كوب وهي الأقداح المستديرة الأفواه لا آذان لها ولا عُرَى، انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١.

(٦) الأباريق: هي ذوات الخراطيم، سميت أباريق لبريق لونها، انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٢٨١.

لأهل الجنة الأبرار فهو ليس كخمر الدنيا المعصور المنقطع الذي لا تدوم لذته، إنه { وكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ } ظاهر تراه العيون[1] من خمر جارية من العيون[2].

منبعه لا ينقطع أبداً لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء، قال تعالى:{ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} وشبه الجملة (من معين) متعلق بمضمر (محذوف) وهو صفة لكأس، أي كائنة من شراب معين أو من نهر معين [3] والأصل أن معين صفة للماء وقد وصف كأس الخمر بها تشبيهاً لها بالماء في جريانها وكثرتها حتى تكون أنهاراً جارية في الجنان لم تدنس بالأقدام كخمر الدنيا، وجوز أن يكون ماء فيه لذة الخمر ونشأته، فالوصف بذلك ظاهر وتفيد الآية وصف مائهم باللذة والنشأة وما ذكر أولاً هو الظاهر[4].

الموضوع الرابع:

قال تعالى في الآية الثلاثين من سورة الملك:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً[5] فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ }.

في هذه الآية الكريمة تهديد لمشركي قريش بأن يسلط الله عليهم البلاء في الدنيا وأن يرميهم بالمكاره، وأن ينزع عنهم نعمه التي يعيشون فيها[6]، ولما كانت مكة قليلة المياه حيث إن أشهر مياهها زمزم وبئر ميمون وبئر الجفر وبئر الجم[7]، أتت هذه الإيماءة إلى أنهم يترقبهم عذاب الجوع بالقحط والجفاف، وأتى هذا الإنذار بأن يصبح ماؤهم غوراً وهذا الإنذار نظير الواقع في سورة القلم[8]{ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا

---

(١) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٧ ص١٧٥ بتصرف.

(٢) انظر النسفي/ تفسير النسفي ج٤ ص٢٠٧ وأبا السعود/تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩١.

(٣) انظر أبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٧ ص١٩١.

(٤) انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٣ ص٨٦-٨٧ بتصرف.

(٥) وصف بالمصدر للمبالغة، انظر الشوكاني/ فتح القدير ج٥ ص٢٦٦.

(٦) انظر عبد الكريم الخطيب / التفسير القرآني للقرآن الكتاب ١٥ ج٢٩ ص١٠٧٣.

(٧) انظر ابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٣٤٤ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٢٢ وابن عاشور/ التحرير والتنوير المجلد١٢ج٢٩ ص٥٥.

(٨) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد ١٢ ج٢٩ ص٥٥.

بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَثْنُونَ } إلى قوله تعالى:{ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}[1].

وقد أتى هذا الإنذار في آية الملك في صورة تبليغ، بدأ بفعل الأمر (قل) الموجه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم واستخدم فيه أسلوب الشرط الجازم المقرون جوابه بالفاء، أي بلغهم يا محمد وقل لهم أخبروني ونبئوني{ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا}إن ذهب هذا الماء القليل أصلاً والذي تدركون أهميته القصوى في حياتكم وسقيكم وحرثكم وأصبح ذاهباً في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد[2] ((غائراً في الأرض بالكلية)) [3] لا تستطيعون استخدامه بطرقكم المعهودة، وهنا يأتي جواب الشرط المقرون بالفاء في قالب استفهام إنكاري[4]:{ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ} حيث ينكر عليهم الله عز وجل أن يأتيهم أحد بالماء (المعين) الظاهر الجاري السهل المأخذ إلا هو جل جلاله. ولم يذكر لفظ الجلالة (الله) لظهوره في سياق الكلام، ومن قوله قبله[5]:{ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} وقد ذكر في هذه الآية عذاب مخصوص وهو نفاد الماء الذي هو سر حياتهم وهو وعيد في الدنيا خاصة لأنه في الآية الثامنة والعشرين ذكر العذاب مطلقاً [6] {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} ذكر فقد ما به حياة النفوس وهو الماء، ((وأردف الوعيد السابق به تنبيهاً بالأدنى على الأعلى وإنكم إذا لم تعبدوه عز وجل للحياة الباقية فاعبدوه للفانية)) [7]، ويستحب أن يقول القاريء عقب معين(الله رب العالمين) [8] وقد ورد في بعض كتب التفسير أن هذه الآية تليت عند بعض

---

(١) سورة القلم الآيات من ١٧ – ٣٣.

(٢) انظر ابن كثير / تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٠١.

(٣) انظر أبا السعود / تفسير أبو السعود ج٩ ص١٠، والألوسي / روح المعاني ج٢٩ ص٢٢.

(٤) انظر ابن عاشور / التحرير التنوير المجلد ١٢ ج٢٩ ص٥٥-٥٦.

(٥) انظر ابن عاشور / التحرير والتنوير المجلد١٢ ج٢٩ ص٥٥.

(٦) انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٢٩٨ بتصرف.

(٧) انظر الألوسي / روح المعاني ج٢٩ ص٢٢.

(٨) انظر المحلي والسيوطي/ تفسير الجلالين ج١ ص٧٥٧.

المستهزئين الملحدين وقيل هو محمد بن زكريا الطبيب أو المتطبب فقال تجيء به الفؤوس والمعاويل فذهب ماء عينيه في تلك الليلة وعمي[1]، والله أعلم

الطهور: [2]

طهور صيغةٌ مبالغة على زنة فَعول، وقد ورد وصف الماء بالطهور في الآية الثامنة والأربعين من سورة الفرقان، كما ورد وصف شراب أهل الجنة بالطهور في الآية الحادية والعشرين من سورة الإنسان.

ولو تأملنا الآية الثامنة والأربعين من سورة الفرقان وهي قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً[3] بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً} نجدها بدئت بالضمير (هو) العائد عليه سبحانه وأتى بعده بالاسم الموصول (الذي) فالله وحده دون شريك أرسل الرياح مما يدل على ((قدرته التامة وسلطانه العظيم)) [4]، ولننظر إلى كلمة الرياح التي أتت جمعاً لأنها رياح رحمة، ألا ترى أنها مبشرة بقدوم المطر، والريح في القرآن الكريم إذا وردت مفردة فهي للعذاب ومتى ما كانت جمعاً فهي دالة على الرحمة والنعمة وعلل ابن عطية لذلك مبيناً أن ريح المطر متشعبه متفرقة تأتي شيئاً إثر شيء وهي تتداعب، أما ريح العذاب فتأتي محطمة

---

(١) انظر النسفي /تفسير النسفي ج٤ ص٢٦٧ وأبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٢٩٨ وابن عاشور/التحرير والتنوير المجلد١٢ ج٢٩ ص٥٦ والمحلي والسيوطي/ الجلالين ج١ ص٧٥٧ بتصرف.

(٢) طهر: الطاء والهاء والراء أصلٌ واحد صحيح يدلُّ على نقاءٍ وزوالِ دَنَسٍ ومن ذلك الطُّهر خلاف الدَّنَس. انظر ابن فارس /معجم مقاييس اللغة (طهر) ج٣ ص ٤٢٨. والطَّهارَة ضَرْبان طَهارَة جِسْم وطَهارَة نَفْس وحُمِل عليهما عامَّةُ الآيات، انظر الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن (طهر) ص٣٢٥. واسم الماء الطَّهُور. وكلُّ ماء نظيف: طَهُور، وماء طَهُور أي يَتَطَهَّرُ به، وكل طَهُور طاهر، وليس كلُّ طاهر طهور، قال ابن الأثير: الطَّهُور بالضم التطهُّر وبالفتح: الماء الذي يُتَطَهَّر به، وقال سيبويه: الطهور بالفتح يقع على الماء والمصدر معاً.. والماء الطهور بالفتح: هو الذي يَرفع الحدَث ويُزيل النجَس لأن فَعُولاً من أبنية المُبالغة فكأنه تَنَاهى في الطهارة. انظر ابن منظور / لسان العرب (طهر) ج٤ ص٥٠٥-٥٠٦

(٣) بشراً: اختلف القراء في قراءة (بشرا) فقرىء بشراً تخفيف بشر بضمتين جمع بشور بمعنى مبشر، وقرىء نشراً بالنون والتخفيف جمع نشور كرسول ورسل، ونشر بضم النون والشين وهو جمع أي ناشرات للسحاب بمعنى البعث، وقرىء نشراً بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر وصف به مبالغة، وقرىء بألف التأنيث بشرى. انظر أبا السعود / تفسير أبو السعود ج٦ ص٢٢٣ والألوسي / روح المعاني ج١٩، ص٣٠.

(٤) انظر ابن عاشور / تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٢١.

مهدمة جسداً واحداً لا تتداعب، في حين أشار الرماني إلى أن رياح الرحمة جمعت لأنها ثلاث: لواقح الجنوب والصبا والشمال[1]، هذه الرياح أرسلها الله عز وجل لتكون ممهدة ومبشرة بقدوم رحمته الكبرى وهي المطر ليستعد العباد لاستقبال هذه النعمة فيعملوا على الانتفاع بها ويأخذوا الحيطة عما قد يحصل من ضرر بسبب نزولها وقوله تعالى { بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} أي قدام المطر استعارة وهي عند الألوسي استعارة رشحت أحسن ترشيح، ويجوز أن تكون استعارة تمثيلية وكلمة (بشرا) من تتمة الاستعارة[2]، وهي عند الزمخشري[3] والنسفي[4] استعارة مليحة وعند أبي حيان[5] استعارة حسنة لأنه يجيء معلماً به، أما عند أبي السعود[6] فهي استعارة بديعة، وقد أشار الله عز وجل في مواضع متعددة من القرآن الكريم إلى أن المطر رحمة منه عز وجل لخلقه، من ذلك قوله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ }[7] وقوله: { فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}[8]وقوله: { وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}[9].

بعد هذه المقدمة الرائعة لدور الرياح الممهد للمطر قال جل جلاله { وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً } ونلمح الالتفات من الغيبة { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ} إلى نون العظمة (وانزلنا) أتى (لإبراز كمال العناية بالإنزال، لأنه نتيجة ما ذكر من إرسال الرياح أي أنزلناه بعظمتنا بما رتبنا من

---

(١) انظر ابن عطيه / المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٤ ص٢١٣.

(٢) انظر الألوسي/ روح المعاني ج١٩ ص٣٠.

(٣) انظر الزمخشري/ الكشاف ج٣ ص٢٨٩.

(٤) انظر النسفي/ تفسير النسفي ج٣ ص١٧١.

(٥) انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٦ ص٤٦٢.

(٦) انظر أبا السعود/ تفسير ابي السعود ج٦ ص٢٢٤.

(٧) سورة الأعراف آيه ٥٧.

(٨) سورة الروم آية ٥٠ .

(٩) سورة الشورى آية ٢٨.

إرسال الرياح من جهة العلو التي ليست مظنة الماء أو من السحاب أو من الجرم المعلوم)) [1]، وأسلوب الالتفات يشد الانتباه وخاصة إذا أضيف إلى الالتفات من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم الأقوى، التحول من مفرد إلى ضمير الجماعة العائد إلى الفعال لما يريد القادر على كل شيء الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[2] وقد وصف الماء بـ (طهور) فهو مبالغ ((في طهارته وجهة المبالغة كونه لم يشبه شيء بخلاف ما نبع من الأرض ونحوه، فإنه تشوبه أجزاء أرضية من مقره أو ممره أو مما يطرح فيه ويجوز أن يوصف بالاسم وبالمصدر)) [3] وهو ماء طاهر في نفسه مطهر لغيره وقد قال سعيد بن المسيب في هذه الآية ((أنزله الله طهوراً لا ينجسه شيء)) [4] وقال تعالى: { وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ } [5]، ووصف الماء بطهور إشعاراً بتمام النعمة فيه، وتعميم للمنه فيما بعد، وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها، فبواطنهم أحق بذلك وأولى[6]، وبما أن الإنسان هو الذي يحتاج في الدرجة الأولى لهذا النوع من الماء العذب، فإن اختيار صفة الطهور للماء دون سائر الصفات الأخرى دليل على أن الإنسان هو المقصود هنا أساساً ولا شك أن هذا مظهر من مظاهر تكريم الله تعالى للإنسان الذي خلقه بارئه في أحسن تقويم كي يكون خليفة في الأرض، يعبد الله تعالى حق عبادته، مستعيناً بذلك الماء الطهور على العبادة، شرباً وطهارة ووضوءاً وغسلاً وما إلى ذلك [7].

---

(١) انظر الألوسي/ روح المعاني ج١٩ ص٣٠.

(٢) د.حسن باجودة / تأملات في سورة الفرقان ص١٦٣-١٦٤ بتصرف.

(٣) انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٦ ص٤٦٢.

(٤) انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٧١.

(٥) سورة الأنفال آية ١١.

(٦) انظر البيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص٢٢٢ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٤ بتصرف.

(٧) د.حسن باجودة / تأملات في سورة الفرقان ص١٦٢

أما الآية الكريمة الحادية والعشرون من سورة الإنسان فهي قوله تعالى:{عَالِيَهُمْ[1] ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ[2] وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً }في هذه الآية جاء ((طهور)) وصفاً للشراب الذي يشربه الأبرار في الجنة، وقد أوردت هذه الآية لأن المراد بالشراب قد يكون الخمر وقد يكون ماء من عين أو من عينين يشرب منهما الأبرار، كما ورد في بعض كتب التفسير التي سيشار إليها. هذه الآية تصور بعض النعيم الذي يتمتع به الأبرار، فقد وصف عز وجل حال ظاهرهم وباطنهم { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ } يأله من منظر مبهج ونعيم مفرح. هؤلاء الأبرار يلبسون الديباج الرقيق الحسن الأخضر (السندس) والديباج الغليظ أو الدمقس الأبيض[3] وهو ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس، ويتحلون بأساور من فضة هذه هي الزينة الظاهرية والنعيم الخارجي، ثم انتقل عز وجل إلى بيان ما اعترى بواطنهم من نعيم فقال: { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً } ((أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة)) [4].

وقد تبين لنا من خلال ما قرأناه في كتب التفسير أن المفسرين ذكروا أن الشراب الطهور إما خمراً وإما ماء، وعللوا لطهارة كل منهما،فطهور صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم، وطهارتها لكونها لم يؤمر باجتنابها، وليست

---

(١) قرأ أهل المدينة وحمزة والكوفة وبعض قراء مكة (عاليهم) بتسكين الياء وكسر الهاء فيكون في موضع رفع بالابتداء وخبره ثياب سندس. وقرأ عاصم وأبو عمر وابن كثير بفتح الياء وضم الهاء على الصفة أي فوقهم وهو في محل نصب على الظرفية، انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص٢٢٢ والزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٧٤، وقرأت عائشة رضي الله عنها (علتهم) بتاء التأنيث فعلاً ماضياً فاعله ثياب. ومن قرأ بالياء مضمومة فمبتدأ خبره ثياب ومن قرأ (عليهم) حرف جر فثياب مبتدأ.. انظر أبا حيان/ البحر المحيط ج٨ ص٣٩١.

(٢) ثياب سندس خضر وإستبرق: قرأ نافع وحفص خضر وإستبرق مرفوعان عطفاً على الثياب، وقرأهما حمزة والكسائي مجرورين وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر جر واستبرق رفع عطفاً بالإستبرق على الثياب وتصيير للخضر نعتاً للسندس، وقرأ أبو جعفر وأهل البصرة والشام على ضده فالرفع على نعت الثياب والجر على نعت السندس، انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص٢٢٢، والزمخشري/الكشاف ج٤ ص٦٧٤ بتصرف.

(٣) انظر في بيان معنى السندس والإستبرق. انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص٢٢٢ وابن عطية/ المحرر الوجيز ج٥ ص٤١٤ والألوسي/روح المعاني ج٢٩ ص١٦٢.

(٤) انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٥٨.

كخمر الدنيا التي هي في الشرع رجس، أو لكونها لم تدنس برجل دنسة، ولم يمس بيد وصيرة كذلك عللوا تعليلاً آخر لطهارته فقالوا لأنه لا يؤول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك[1]. وأشار الألوسي إلى أنه ((نوع آخر يفوق النوعين السابقين، وهما ما مزج بالكافور وما مزج بالزنجبيل، كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهور)) [2].

كما أشاروا إلى أن الشراب الطهور ماء يشربه الأبرار من عينين أو من عين ذاكرين قول علي رضي الله عنه ومقاتل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ((إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هناك عينين فكأنما ألهموا ذلك الشراب فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم). [3]

أما قول مقاتل فهو ((هو من عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد وما كان في جوفه من أذى وقذر[4]))

---

(١) انظر الطبري/ تفسير الطبري ج٢٩ ص٢٢٢ والبغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٢٠ والزمخشري/ الكشاف ج٤ ص٦٧٤ والنسفي/ تفسير النسفي ج٤ ص٢٠٥ وأبا حيان/ تفسير البحر المحيط ج٨ ص٣٩٢.

(٢) انظر الألوسي/ روح المعاني ج٢٩ ص١٦٤.

(٣) انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٥٨ و القرطبي/ تفسير القرطبي ج١٦ ص١٤٧.

(٤) انظر البغوي/ تفسير البغوي ج٤ ص٤٢١ والقرطبي/ تفسير القرطبي ج١٦ ص١٤٧ والشوكاني/فتح القدير ج٥ ص٣٥٢

ثانياً:أوصاف الماء الملح (ملح [1] أجاج [2])

ملح وأجاج صفتان مشبهتان الأولى من قولهم ملح الماء بالضم والفتح فهو ملح على زنة فعِل، والثانية من قولهم أَجَّ الماء يَؤُجُّ أُجُوجاً فهو أُجاج[3] على زنة فُعَال وهي من صيغ المبالغة.

وقد ورد هذان الوصفان في القرآن الكريم في موضعين: الأول في الآية الثالثة والخمسين من سورة الفرقان والثاني في الآية الثانية عشرة من سورة فاطر، أما وصف أجاج فقط فقد ورد في موضع واحد وهو الآية السبعون من سورة الواقعة، وأشار المفسرون إلى المراد من هذين الوصفين:فالملح الأجاج هو البليغ الملوحة والشديد الملوحة[4] يحرق بملوحته، وقيل الأجاج البليغ في الحرارة وقيل البليغ في المرارة [5].

وعند حديثنا عن وصف الماء بالعذب الفرات تناولنا الآيتين بالتعليق والشرح والمقابلة بين هذين النوعين من المياه واضحة جلية، فالملح يقابل العذب، والأجاج يقابل الفرات، ويمتاز الماء العذب بكثرة العذوبة والسلاسة، والماء المالح بكثرة الملوحة والمرارة والحرارة، ونعت الأول في الآية الثانية عشرة من سورة فاطر

---

(١) ملح: الميم واللام والحاء أصلٌ صحيح له فروع تتقارب في المعنى وإن كان في ظاهرها بعض التفاوت. فالأصل البياض، منه الملح المعروف وسُمّي لبياضه. ويقال..ماء ملْح، وقد قالوا مالح ذكره ابن الأعرابي انظر ابن فارس / معجم مقاييس اللغة (ملح) ج٥ ص٣٤٧، والمِلْح: الماء الذي تَغَيَّر طَعْمُه التَّغَيُّر المعروف وتَجَمَّد، ويقال له: مِلْح إذا تغير طَعْمُه وإن لم يَتَجمد فيقال ماء مِلْح، وقلما تقول العرب ماء مالح. انظر الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن (ملح) ص٤٩١، والمِلْح والمليح خلاف العَذْب من الماء، والجمع مِلْحَة ومِلاح وأملاح ومِلْح ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة .انظر ابن منظور/ لسان العرب(ملح) ج٢ ص٥٩٩-٦٠٠.

(٢) أج: أما الهمزة والجيم فلهما أصلان الخفيف والشدّة، إمّا حراً وإمّا ملوحة. وبيان ذلك قولهم أجّ الظلومُ إذا عدا أجيجاً وأجّا وذلك إذا سمعت حفيفه في عَدْوه، والأجيج أجيج الكير من حفيف النار. انظر ابن فارس/ معجم مقاييس اللغة (أجّ)ج١ ص٨. والأجيج والأُجاج والاتئجاج: شدّة الحر.. وماء أُجَاج أي مِلْح، وقيل: مرٌ، وقيل: شديد المرارة، وقيل: الأجاج الشديد الحرارة، والأُجاج بالضم: الماء الملح الشديد الملوحة. انظر ابن منظور/ لسان العرب(أجج) ج٢ ص٢٠٦-٢٠٧، والأجاج شَدِيد المُلُوحة والحَرارة من قولهم أجيج النار ولُجّتها، انظر الراغب الأصفهاني / مفردات ألفاظ القرآن (أجّ) ص١٨، والأجاج ما يُذْعَى الفم بمرارته أو ملوحته، انظر إبراهيم مصطفى وآخرون/ المعجم الوسيط(أج) ج١ ص٦.

(٣) انظر محمد الأمين الشنقيطي/ أضواء البيان ج٦ ص٦٦ بتصرف.

(٤) انظر البيضاوي/ تفسير البيضاوي ج٤ ص٢٢٤، ص٤١٤ والمظهري والسيوطي/ تفسير الجلالين ج١ ص٤٧٧ وأبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٦ ص٢٢٥، ج٧ ص١٤٧.

(٥) انظر الشوكاني / فتح القدير ج٤ ص٨١ والبغوي/ تفسير البغوي ج٣ ص٣٧٣.

بـ { سَائِغٌ شَرَابُهُ} وبالتالي يفهم بأن الماء الملح غير مستساغ الشرب، أما الآية السبعون من سورة الواقعة فقد وصف الماء بالأجاج قال تعالى: { لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ }إن الضمير في جعلناه يعود على الماء الوارد ذكره في الآية الثامنة والستين وضميره في الآية التاسعة والستين ثم السبعين { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ }ما زال خطاب الله عز وجل في هذه الآيات موجهاً للمنكرين للتوحيد المكذبين بالبعث يطالبهم بالنظر والتأمل في الماء العذب الفرات الذي يشربونه ((وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشراب أهم المقاصد المنوطه به)) [1]، ثم وجه إليهم جل جلاله ذلك السؤال: { أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ } وبالطبع فإن هذا السؤال سيظهر عجزهم عن الإنزال وبالتالي إقرارهم بأن الله تعالى هو وحده القادر على ذلك، فكأنه بهذا السؤال يقرعهم لعدم توحيده وتصديقهم بالبعث لأن القادر على إنزال الماء من السماء قادر على البعث، فكيف لا يقرون بالتوحيد ويصدقون بالبعث [2] ولم لا يشكرون المنعم ويخلصون العبادة له ويؤمنون بقدرته على الإعادة[3] { لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ }.

بين لهم سبحانه أنه لو يشاء لسلبهم هذه النعمة فجعل ذلك الماء أجاجاً شديد الملوحة والمرارة والحرارة لا يستساغ شربه ولا ينتفعون به في غرس ولا زرع فهلا شكروا لله الواحد الأحد تلك النعمة كي لا تزول، ورأى بعض المفسرين بأن قوله تعالى: { فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ } تحضيض على شكر الكل [4].

وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا شرب الماء قال: ((الحمد لله الذي سقانا فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا[5])) وقد تضمنت هذه الآيات امتناناً عظيماً من الله عز وجل على

---

(١) انظر الألوسي / روح المعاني ج٢٧ ص١٤٩.

(٢) انظر الشوكاني / فتح القدير ج٥ ص١٥٨ بتصرف.

(٣) انظر القرطبي / تفسير القرطبي ج١٧ ص٢٢١ بتصرف.

(٤) انظر أبا السعود/ تفسير أبي السعود ج٨ ص١٩٨ والألوسي/ روح المعاني ج٢٧ ص١٤٩.

(٥) انظر ابن كثير/ تفسير ابن كثير ج٤ ص٢٩٧ والألوسي/روح المعاني ج٢٧ ص١٤٩.

خلقه بالماء الذي يشربونه وذلك أيضاً آية من آياته الدالة على عظمته وكمال قدرته وشدة حاجة خلقه إليه[1]، وبالتالي يلزمهم الإيمان به وطاعته شكراً لنعمة هذا الماء.

الخاتمة:

نستنتج مما سبق دراسته أن أوصاف الماء ذكرت في القرآن الكريم للدلالة على عظيم قدرته جل وعلا، ودقة صنعه تعالى، وتصوير مظاهر نعمه وامتنانه على عباده بذلك الماء الموصوف بتلك الصفات، ويلاحظ أنها تجلت في سياق قرآني معجز بديع اشتمل على صور بديعة تحرك خيال القارىء وتدفعه للتأمل في بديع صنعه تعالى وقدرته وإنعامه، كما أن في مجيء معظمها على زنة صيغ المبالغة بصيغة النكرة (عذب فرات – ملح أجاج – ثجّاج – طهور) إشعاراً بأنها أوصاف بلغت أوجها وغايتها وفي ذلك تعظيم للموصوف وهو الماء ولا شك في ذلك فهو ماء عظيم لأن الذي أنزله وأوجده رب العالمين ، وقد أشارت الآيات الكريمات إلى ذلك إما باستخدام ضميرّ المتكلم المعظم نفسه وهو الأكثر وروداً – إسناد الفعل إلى (نا) العظمة – أو باستخدام ضمير الغيبة قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً}سورة ق آية رقم ٩، وقال جل جلاله:{ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجاً} سورة النبأ آية رقم ١٤، وقال تعالى: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً}سورة الفرقان آية رقم٤٨ ، وقال جل جلاله: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} سورة الجن آية رقم١٦، وقال سبحانه: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}سورة المؤمنون آية رقم ٥٠ وقال جل شأنه: {لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً} وفي ذلك كله حث على شكر المنعم وتعظيم المبدع القادر وتقديره حق قدره، قال تعالى: {لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.وقال تعالى : { فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ}.

---

(١) انظر محمد الأمين الشنقيطي/ أضواء البيان ج٧ ص٥٣٣ بتصرف.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً : الكتب:

١- الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

٢- باجودة - حسن محمد، تأملات في سورة الفرقان، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام / مكة /الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣- عبد الباقي - محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي/ بيروت لبنان.

٤- البغوي - أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار المعرفة/ بيروت.

٥- البيضاوي - ناصر الدين ابي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، دار الفكر / بيروت.

٦- أبو حيان الأندلسي - محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية / لبنان بيروت /الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٧- الخطيب - عبدالكريم، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي / القاهرة.

٨- الراغب الأصفهاني -أبو القاسم الحين بن مفضل، مفردات ألفاظ القرآن، المكتبة العصرية/ بيروت /الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٩- الزمخشري - أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١٠- أبو السعود - محمد بن محمد العمادي، تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، دار إحياء التراث العربي / بيروت.

١١- سيد قطب في ظلال القرآن، دار الشروق/ بيروت /الطبعة الفرعية الخامسة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٢- الشنقيطي - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر /بيروت ١٤١٥هـ.

١٣- الشوكاني - محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر / بيروت.

١٤- الطبري - محمد بن جرير بن يزيد، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) دار الفكر / بيروت ١٤٠٥هـ.
١٥- ابن عاشور - محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار مصر للطباعة ١٩٩٧م.
١٦- ابن عطية - أبو محمد عبدالحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية / لبنان / الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
١٧- ابن فارس - أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، معجم مقاييس اللغةدار الجيل/ بيروت / الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٨- القرطبي - أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الشعب / القاهرة.
١٩ -ابن كثير- اسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء، تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، دار الفكر / بيروت ١٤٠١هـ.
٢٠ - المحلي - عبدالرحمن بن أبي بكر والسيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث / القاهرة/ الطبعة الأولى.
٢١ -مصطفى - إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية / طهران.
٢٢ -ابن منظور - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر / بيروت.
٢٣ -النسفي - أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي، دار الكتاب العربي/ بيروت.